

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[11] علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الأ تعالى: (قل هو الأ أحد)، والآيات في سورة الحديد إلى قوله: (عليم بذات الصدور) ومن رام وراء ذلك فقد هلك" (1). يستفاد من هذا الحديث أن هذه الآيات تعطي للظمأى من طلاب الحقيقة أقصى حدٍ للمعرفة الممكنة. وعلى كل حال فإن أوّل آية من هذه السورة بدأت بتسبيح وتنزيه الأ عز وجل حيث يقول سبحانه: (سبح الأ ما في السموات والأرض). لقد إنتهت السورة السابقة بأمر التسبيح، وإبتدأت هذه السورة المباركة بالتسبيح الإلهي أيضاً. والجدير بالملاحظة أن في سور المسبّحات الخمس جاءت كلمة التسبيح ثلاث مرّات بصيغة الماضي (سبح) في سور الحديد والحشر والصف، وفي موردين جاءت بصيغة المضارع (يسبح) في سور الجمعة والتغابن، وهذا الاختلاف في التعبير قد يكون إشارة إلى أن جميع الكائنات في العالم قد سبّحت وتسبّح لذاته المقدّسة في الماضي والمستقبل. وحقيقة "التسبيح" عبارة عن نفي كل عيب ونقص (2) عن الذات الإلهية، وشهادة جميع الكائنات في هذا العالم بطهارة ذاته من كل عيب، حيث أن النظم والحساب والحكمة والعجائب في نظام الكائنات .. هذه جميعها تذكر (الأ) بلسان حالها وتسبّحه وتحمده وتنزّله وتؤكد أن لخالقها قدرة لا متناهية، وحكمة لا محدودة. ولذا جاء في نهاية هذه الآية: (وهو العزيز الحكيم). كما يحتمل أن تتمنّع جميع ذرّات الوجود بنوع من الإدراك والشعور بحيث _____ 1 - الأصول الكافي طبقاً لنقل تفسير نور الثقلين، ج5، ص231. 2 - "التسبيح" في الأصل من مادّة (سبح) على وزن (مسح) بمعنى الحركة السريعة في الماء والهواء. والتسبيح أيضاً هو الحركة السريعة في مسير عبادة الأ عز وجل (الراغب في المفردات).